مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
الآداب للدراسات اللغوية والأدبية

15 العدد الخامس عشر
سبتمبر 2022
OBEN ACCESS

إشكالية المنهج في الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية

أحمد هادي يحيى آل زيلع*
Zailaa.ahma@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/05/21م	تاريخ القبول: 2022/07/31م

الملخص:

يهدف البحث إلى الكشف عن إشكالية المنهج في الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية، وقد قُسّم إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، ويحاول عبر معطيات نقد النقد الكشف عن إشكالية المنهج عند الاتجاهات الثلاثة التي اشتغلت على نقد شعر الحداثة في المملكة العربية السعودية الذي مرّ بعدة تحولات، وقد توصل البحث إلى أن المنهج في الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية مر بعدد من التحولات كان سببها الأبرز ولادته في ظروف اجتماعية واقتصادية وفكرية وثقافية كان لها أبلغ الأثر فيه، وهو ما جعله يظهر على مستويين رئيسيين: الأول: المستوى الذاتي، والثاني: المستوى الموضوعي، فأما حضوره على المستوى الذاتي فينقسم إلى قسمين: حضور تقليدي، وحضور تجديدي. ينطلق القسم التقليدي من رؤية تقليدية محافظة تتوجس من شعر الحداثة، وترى أن المنهج الصحيح لنقده لا يكون إلا داخل إطار الدين، وينطلق القسم التجديدي من نزعة تجديدية تحاول مواكبة التجربة العربية التي بدورها تحاول مواكبة موجة التحديث العالمي التي طالت كافة العلوم. وأما حضوره على المستوى الموضوعي فكان حضورا ملتزما، وقف من شعر الحداثة في المملكة موقفا وسطا اتسم بسمات الموضوعية، فأثرى شعر الحداثة في المملكة بالاحتفاء تارة والنقد تارة أخرى.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الخطاب الناقد، شعر الحداثة، النقد السعودي.

* طالب دكتوراه في الأدب - قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الملك خالد بأبها - المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: آل زيلع، أحمد هادي يحيى، إشكالية المنهج في الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، ع15، 2022: 431- 458.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

العدد الخامس عشر 15
سبتمبر 2022

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
الآداب للدراسات اللغوية والأدبية

OBEN ACCESS

Approach Problematic Issues in Modernist Poetry Critical Discourse in the Kingdom of Saudi Arabia

Ahmed Hadi Yahya Al Zeila *

Zailaa.ahma@gmail.com

Received: 21-05-2022	Accepted: 31-07-2022

Abstract:

The study aims to identify the problematic issues of approach to modernist poetry critical discourse in the Kingdom of Saudi Arabia. The study comprises an introduction, a preface and two sections. Adopting critique data, method, the study attempts to find out the problematic issues of approach at three levels, working on modernist poetry criticism which has gone through various transformations in the Kingdom of Saudi Arabia. The study revealed that the critical discourse approach to modernist poetry in the Kingdom of Saudi Arabia has gone through a number of transitions, mainly resulting from and influenced by the surrounding social, economic, intellectual and cultural conditions in which modernist poetry emerged at both the subjective and the objective levels. The presence of modernist poetry criticism on the subjective level is felt in two directions: traditional presence apprehensive of modernist poetry, favoring its critique approach only within religious boundaries and restoration renewal presence trying to keep pace with the wave of Arab and global modernization at all aspects. At the objective level, the critical approach enjoys an objective committed mediating presence both enriching and critical of modernist poetry in the Kingdom of Saudi Arabia.

Keywords: Approach, Critical discourse, Modernist poetry, Saudi Arabia, Criticism.

* PhD Student in Literature, Department of Arabic Language and Literature, King Khalid University in Abha, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al Zeila, Ahmed Hadi Yahya, Approach Problematic Issues in Modernist Poetry Critical Discourse in the Kingdom of Saudi Arabia, Journal Arts for linguistics & literary studies, Faculty of Arts, Thamar University, Yemen, issue 15, 2022: 431- 458>

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

المقدمة:

منذ بدأت الدراسات الأدبية والنقدية وإشكالية المنهج تمثل إحدى أهم الإشكاليات التي تواجه الباحث المهتم بهذا النوع من الدراسات، فالتطور الطبيعي الحاصل على مستوى التجربة الأدبية أدى بدوره إلى تطور كبير وسريع على مستوى المناهج النقدية، وهو ما نتج عنه نشوء خط تصاعدي في المنهج بدأ من المناهج الماقبل نصية مرورا بالمناهج النصية وليس انتهاء بالمناهج المابعد نصية، ويهدف كل ذلك إلى مواكبة الإبداع برؤية تتوافق مع السيرورة التاريخية ويكون في استطاعتها جذب انتباه القارئ ثم التأثير فيه.

والمتأمل في مسيرة النقد العربي يلاحظ أن "الذي حدث عند العرب تاريخيا هو أن النقد قد تأثر في منهجه بالعقلية الجديدة التي كونتها فلسفة اليونان، والتي اتخذها المعتزلة وعلماء الكلام أساسا لمجادلاتهم في التوحيد والفقه- وهذا يفسر تغيره من نقد ذوقي غير مسبب يقف عند الجزئيات ويقفز إلى تعميمات خاطئة تجعل من شاعر أشعر الناس لبيت قاله- إلى تعدد ذوقي مسبب يحاول أن يقصر أحكامه على الجزئية التي ينظر فيها، فإن سعى إلى تعميم لجأ إلى الاستقصاء واحتاط في الحكم"[(1)].

وليس المنهج في الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية بمعزل عن ذلك بل إنه ليقع في قلب هذه الإشكالية، فهو من جهة محاولة بكر في بيئة نقدية بكر تحيط بها الكثير من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية التي تؤثر فيه وتتأثر به، وهو من جهة ثانية يمثل انعكاسا لاتجاهات مختلفة، منها المحافظ والحداثي والموضوعي، وكل واحد من تلك الاتجاهات ينطلق من رؤى مختلفة، ويتبنى أفكارا مختلفة، ويسعى للوصول إلى هدف مختلف، ومن ثم فإن لكل منها منهجا خاصا في قراءة شعر الحداثة في المملكة العربية السعودية.

لقد شكّلت التجربة الشعرية الحداثية في المملكة العربية السعودية علامة بارزة في المشهد الثقافي السعودي، ففي الثمانينات من القرن الميلادي الماضي نشأ في ضوء هذه التجربة صراع ثقافي

فكري نتج عنه خطاب ناقد، متعدد الرؤى، مختلف الاتجاهات والتوجهات، وظف معرفته لاكتشاف هذه التجربة والكشف عنها، ومن ثمّ مهاجمتها أو الوقوف معها.

وانطلاقا من ذلك الاختلاف الحاصل بين تلك الرؤى والتوجهات ولدت فكرة هذا البحث الموسوم بـ(إشكالية المنهج في الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية) الذي يهدف في ضوء معطيات نقد النقد إلى البحث في تجليات المنهج الذي اشتغل به ذلك الخطاب، منطلقا من تساؤلين أساسيين:

هل كان الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية خطابا منهجيا ملتزما؟

وما أهم تجليات المنهج في الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية؟

ورغم أن البحث اتخذ سبيلا مختلفة عن الدراسات التي سبقته إلى تناول أجزاء متفرقة من الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية، فإنه لا ينكر القيمة العالية التي أفادها من أهم تلك الدراسات، وهي:

- **حركة نقد الشعر في المملكة العربية السعودية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لعلي فهد الشرود، عام 1988م، وهذه الدراسة رغم أهميتها والتقائها مع موضوع البحث في اشتغالهما على نقد الشعر في المملكة العربية السعودية، فإنها تختلف عنه اختلافا جذريا من عدة أوجه، أهمها أن تلك الدراسة تناولت حركة نقد الشعر عموما، بخلاف دراستنا التي تتناول إشكالية المنهج فقط.

- **جهود عبد الله الغذامي في النقد الثقافي بين التنظير والتطبيق**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، لمحمد لافي الشمري عام 2009م، وهذه الدراسة تهتم بمشروع الغذامي في النقد الثقافي، ولم تتطرق لجهوده في نقد شعر الحداثة في المملكة العربية السعودية، الذي هو جزء من موضوع هذا البحث.

- **خطاب الممانعة لأدب الحداثة في السعودية قراءة في المتن**، لمحمد يحيى أبو ملحة، بحث منشور في دورية (الخطاب)، عن منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ويتوجه هذا البحث إلى قراءة خطاب الممانعين لأدب الحداثة والرافضين لتوجهاتها وإنجازاتها، وقد اختار الباحث كتابين هما: "جناية الشعر الحر" لأحمد فرح عقيلان، و"الحداثة في ميزان الإسلام" لعوض محمد القرني، ولئن كان هذا البحث يلامس شيئا مما تهدف دراستنا إلى البحث فيه فإنه اقتصر على جانب الممانعة فقط، كما جاء مقتصرا على كتابين اثنين.

وقد قُسّم البحث إلى تمهيد، تناول فيه الباحث مفهوم المنهج الذي ترتكز عليه الدراسة، يليه مبحثان، تناول في المبحث الأول المنهج في المستوى الذاتي، وفي المبحث الثاني المنهج في المستوى الموضوعي، ثم خاتمة، وملخص لأهم النتائج، تعقبه أهم التوصيات.

التمهيد:

قبل الدخول إلى الكشف عن تجليات المنهج وإشكالاته عند الاتجاهات الثلاثة التي تتقاسم الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية فإننا نبين المقصود بالمنهج الذي يناقشه هذا البحث، إذ هو "بوجه عام، وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة"[(2)]، وبمفهوم أدق هو: "مسار إجرائي يسلكه المرء بصفته طريقة تحليل، بعد وضع جيد للعمل وتصميمه، يدل على مجموعة من الطرق العلمية، القصد منها بلوغ نتيجة مستهدفة في أي مجال من مجالات الفعل، والتفكير والتأمل، والبحث عن الحقيقة"[(3)].

وأما شعر الحداثة فيقصد به ذلك الفعل الوجداني الذي سلك فيه الشاعر مسلكا مختلفا عن المسلك الشعري التقليدي سواء في الشكل أم في المضمون أم في الموقف.

إن لكل تصور من التصورات الثلاثة التي يتشكل منها الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية رؤيته الخاصة للأدب وموقفه منه ومن العلاقة بينه وبين الإنسان والكون والحياة، وهذا الاختلاف طبيعي، بل حتمي، ونتيجته المتمثلة هنا في اختلاف تجليات المنهج في

الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية هي نتيجة طبيعية تفرض احترامها على القارئ قبل الناقد، إلا أنه في مقابل ذلك علينا أن نعي المأزق الذي قد وقع فيه هذا الخطاب، بحيث "لا ننكر أن نوعا من الإرهاب المنهجي والإيديولوجي قد تحكّم، منذ بضعة عقود في تعليم الأدب وفي الإبداع الأدبي ذاته"[4].

هذا الإرهاب تولد عنه خطران يحيطان بالمنهج، الخطر الأول "خطر إفقار العمل الأدبي الذي يوجَّه إليه النقد، وذلك باسم ترابط منطقي مفتعل أو دوغمائية منهجية ما"[5]، والخطر الآخر يتمثل في بروز منهج نقدي "لا همّ له سوى العلمية، إذ لا يمكن لهذا النقد أن يتحقق إلا إذا اعتبر النص غرضا صرفا. غير أن النص هو دوما نص يقرأه أحدٌ ما، فوجوده مرتبط بنظرة القارئ إليه وبظروف تلقيه المتغيرة دائما"[6].

وعليه فإن هذا البحث لا يتغيا التعريض بصحة المنهج أو خطئة، أو مناسبته للعمل الفني الذي يدرسه أو عدم مناسبته، وإنما غايته الكشف عن الإشكالية التي تحيط بالمنهج في الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية، حيث يظهر هذا المنهج في مستويين رئيسيين هما: المستوى الذاتي، والمستوى الموضوعي.

أولا: المنهج في المستوى الذاتي

ينقسم المنهج في هذا المستوى إلى قسمين: قسم تقليدي، وقسم تجديدي، فأما القسم التقليدي فينطلق النقاد فيه من رؤية تقليدية محافظة تتوجس من شعر الحداثة، وترى أن المنهج الصحيح لنقده لا يكون إلا داخل إطار الدين، ولذلك فإن المنهج المناسب لدراسة الأدب ونقده -من وجهة نظرهم- لا بد له أن ينطلق من منهج الإسلام فيحمل رسالته الإنسانية السامية، كما يحمل تصورات تعالج قضايا الحق والخير والجمال منطلقا من تراثه، محققا هويته، محققا متطلبات الأمة الإسلامية، منفتحا على معطيات الحضارة الأجنبية المعاصرة وفق أسس واضحة تضمن له سلامة ذلك الانفتاح، ليكون ما يسترفده عونا له على توسيع نظرته إلى الحياة وفق مقومات الأديب الإسلامية الأساسية[7].

ولا يمكن في تصورهم "فصل المنهج عن فلسفته كما أنه لا يمكن فصل الفلسفة عن منهجها فنحن عندما نمارس الإسلام نمارسه وفقا للمنهج الإسلامي... ولذلك فإن الممارسة الصحيحة أي المنهج الصحيح لا يكون إلا داخل إطار الدين أو المذهب أو النظرية التي تستوجب تلك الممارسة وفقا لمنهجها"[8]، وهذا ما جعل بعض أصحاب هذا القسم يتخذون موقفا حذرا من النقد الأدبي الحديث، لأنه في نظرهم "نقد مأزوم بالعلل (...) يُشتكى من عبثية بعضه ولا معقوليته، ومن جموحه وشططه، ومن دكتاتوريته وأحاديته، ويُشتكى من غموضه وعتمته، ومن عدم تأثيره وجدواه ومن مماحكاته اللفظية العبثية، وتلاعبه بالنصوص ودلالاتها، ويُشتكى من غربته عن طلبة العلم بل عن أساتذتهم المتخصصين أنفسهم"[9].

كما يرى بعضهم في النقد العربي الحديث امتدادا لذلك النقد الغربي المأزوم حيث "إنه ورث من النقد الغربي الذي يقلّد سننه حذو القذّة بالقذّة هذه الآفات جميعا وحمل فوقها أوزارا كثيرة"[10].

إننا عندما نستقرئ المنهج في هذا القسم يتبين لنا كيف أن مفهوم المنهج وحده لا يمكنه أن "يحل مشكلة غياب الوعي بالأنساق الثقافية والثوابت المعرفية والإيديولوجيات المغيبة للحقيقة، ولا يجسر على تغييرها"[11] إلا بعد أن يكون هناك التزام من الناقد بروح المنهج وتوفيق منه بين وجهيه النظري والتطبيقي، كما يتبين لنا أن النقاد في هذا القسم كانوا يعيشون مرحلة الصراع مع شعر الحداثة، وهو ما أثر على حضور المنهج لديهم سواء في تغييبهم له أو انعدام وعيهم به، وهو ما يبرز جليا في كثير من أحكامهم النقدية حيث لا تعدو في أكثرها كونها أحكاما انطباعية لا تتجاوز مرحلة الاستهجان أو الاستحسان، مبنية على أفكار مسبقة.

وهذا ما نلاحظه في كتاب (جناية الشعر الحر)[12]، حيث يقول المؤلف في مفتتحه: "أعترف أني أكتب هذه الورقات وأنا ثائر منفعل، يكاد يسطو بي الكمد ويكاد يقتلني الغضب.. وكيف لا أغضب والجناية قد أصابت المقتل، والجناة مصممون على أن يجهزوا على الضحية الزكية، مصرون على المضي في تخطيطهم الفظيع الظالم بإملاء من الشياطين وإيحاء من الحاقدين"[13].

ففي هذا الكتاب كان الكاتب يكتب تحت تأثير الغضب والانفعال، كما أنه كان يكتب لأجل هدف أساس هو الرد على مشروعية الشعر الحر والقدح فيه، وهذا ما أوقع الكاتب في كثير من الأحكام والتعميمات، التي يكتشف القارئ دون بذل كثير جهد خلوها من المنهجية والإنصاف.

ومن تلك الأحكام قوله: "واليوم أشتري أربعين ديوانا من الشعر الحرّ فأتجرع في قراءته الصبر المر، وبعد العناء لا أفوز منها بطرفة أو نكتة أو حكمة أو فائدة لغوية.. وليت الأمر يقف عند ذلك فهي في معظمها إغراء لقارئها أن يكفر بقومه ولغته وتراثه ويتبدل بها آراء الأعداء ونظريات الملاحدة وهمزات الشياطين"[14].

ومن ذلك جزمه "أن وراء هذا التجديد مؤامرة هدم لأدبنا وثورة على تراثنا، ولقد أكّد لي هذه الحقيقة إني [هكذا] درست نفسيات معروفة من زعماء التجديد فلما كشفت عن وجوهها أقنعة الزيف إذا وجوه كالسعالي في أعينها بريق الشيطان، وفي أنيابها سموم الموت، وفي قسماتها جذام الطاعون"[15].

ومما يؤكد ذلك توجيهه النقد للأشخاص لا الأفكار، مثل قوله: "كثير من الشعراء والنقاد الذين حملوا حملات التجديد وفرضوا على أدبنا هذا البلاء العتيد، أقول كثير من هؤلاء لا أطمئن لماضيهم ولا إلى عقيدتهم"[16].

ويكرر ذلك في الخاتمة حين يقول: "أوجه إلى الإخوة الأدباء وأصحاب دور النشر في مشارق أوطاننا ومغاربها: أن يربأوا بأنفسهم عن نشر هذا الشكل المنثور المزيف أو الاحتفاء به أو الاعتراف بأنه شعر، وأن يربطوا بين الإنتاج وشخصية المنتج، فإن رأوا أنه ملوث الماضي فلينبذوا سمومه الوبيلة"[17].

كما كان يعمم الأحكام ويرمي التهم بلا تثبت، مثل قوله: "أما جماعتنا فهم يرون أن ما يهرفون به هو الشعر"[18]، وقوله: "وفي تحقيق صحفي أجري مع رئيس النادي الأدبي بالرياض سئل عن شعر بدر، فلم يجرؤ على أن يحذّر من انحرافات ملأت بعض دواوينه، بل قال: إنني استمتع بشعر بدر

ويقيني أن عبدالله بن إدريس لا يستمتع أبدا بالشيوعية وأفكارها لأنه عنصر إسلامي لكنه قال ما قال تقية أن تتهمه الملاحق الأدبية بالتأخر والارتكاس والجمود وعدم الاطلاع على الأدب الأجنبي"[19].

ويظهر المنهج الذاتي التقليدي في مجموعتين من المؤلفات، تغلب على المجموعة الأولى النزعة الذاتية الصرفة، بينما تمتزج في المجموعة الثانية الموضوعية بالذاتية، ويمثل المجموعة الأولى عدة مؤلفات أهمها: (الحداثة في ميزان الإسلام[20]، والحداثة في منظور إيماني[21]، والانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها[22])، ففي هذه المؤلفات لا يغيب المنهج غيابا كاملا ولا يحضر حضورا ملتزما، بل نراه يحضر حضورا متفلتا، فنجد النقاد في هذا القسم يرسمون منهجا في بدايات مؤلفاتهم لكنهم سرعان ما يخرجون عنه عندما يتعمقون في تحليل النصوص الشعرية المختارة.

ففي كتاب الحداثة في ميزان الإسلام –مثلا- يقول المؤلف: "لكنني أؤكد أن الصراع مع الحداثة أولا وأخيرا هو صراع عقائدي بحت، إذ إنني لا أنطلق في كتابي هذا في الحوار مع الحداثة منطلقا أدبيا، يتحدث فيه المتحاورون عن عمود الشعر، ووزنه وقافيته، وأسلوب القصة. إننا نختلف معهم في المنطلقات الفكرية والعقائدية، ونعترض عليهم في مضامينهم ومعانيهم التي يدعون إليها، وينافحون عنها، وعن هذه فقط سيكون حديثنا"[23].

وبعد ذلك بعدة صفحات يقول: "والواقع أعظم شاهد على أن الحداثة العربية ابن غير شرعي للمفكرين الغربيين، منذ بودلير وإدجار آلان بو، حتى يومنا هذا، ويكفيك للتأكد من ذلك أن تتصفح أي منشور حداثي؛ شعرا، أو رواية، أو مسرحية، أو قصة، أو دراسة نقدية، لتجدها تصرخ بقوة، وتعلن أنها من نبات مزابل الحي اللاتيني في باريس، أو أزقة سوهو في لندن، عليها شعار الشاذين من أدباء الغرب، الذين لا يكتبون أفكارهم إلا في أحضان المومسات أو أمام تمثال ماركس"[24].

فالمتأمل للنصين السابقين يرى التعارض الجليّ بين ما حدده الكاتب في منهجه من كون حديثه لن يكون إلا عن المنطلقات الفكرية والعقائدية والمضامين والمعاني، وما خلص إليه من نتيجة؛ فهو من جهة لم يقف عند المنطلقات الفكرية والعقائدية والمضامين والمعاني التي حددها في منهجه، ومن

جهة أخرى نجده يطلق حكما عاما على كل منشور حداثي شعرا كان أو رواية أو مسرحية أو دراسة نقدية، متهما إياها اتهاما جازما بأنها مجرد صدى لمرجعيات غربية.

ويمثل المجموعة الثانية التي تمتزج فيها الموضوعية بالذاتية عدة مؤلفات أهمها: (الحداثة بين التعمير والتدمير، والقصيدة الحديثة وأعباء التجاوز)، ففي الكتاب الأول الذي قسمه مؤلفه إلى (مقدمة، ثم عرض لقضية الحداثة ومناقشة لأهم موضوعاتها، ثم خاتمة، فقائمة بالمراجع) يُلمح لنا العنوان إلى شيء من الموضوعية.

فالحداثة التي يتحدث عنها المؤلف تقع بين قطبين هما التعمير والتدمير، أي أنها في وعي المؤلف ليست شرا كلها وليست خيرا كلها، وهذا ما يطالعنا به المؤلف في المقدمة حين يقول: "إننا حين نرفض الاستسلام والذوبان نرفض -في سبيل ذلك- العزلة والانغلاق فالإسلام قادر على استيعاب كل المستجدات وإذابتها كما فعل في عصور الازدهار ولكننا حين نقبل بالحوار نرفض أي شوائب تعكر صفو سلفيتنا، فهل نحن قادرون على حوار متكافئ واستيعاب مقتدر؟. أرجو ذلك"[25].

فهو هنا في المقدمة يبدو موضوعيا في منهجه الذي يتخذه لقراءة شعر الحداثة، ويبنى الموقف الذي لا يرفض الحداثة مطلقا ولا يقبلها مطلقا، وهو ما يبرز بشكل أوضح في قوله: "فالحداثة لم تكن أحادية اللغة، فكل قومية لها لغتها، وكل لغة لها حداثتها، ولم تكن أحادية الأصل والتراث، فلكل قوم أصولهم وأسلوب التعامل مع هذه الأصول، ولم تكن نتاج مرحلة زمنية واحدة، فعمرها يمتد من الزمن الماضي، حتى أن رموز الحداثة العربية التمسوها في اتجاهات تراثية متباينة، فهي عند أبي تمام لغوية، وعند أبي نواس عبثية، وعند ابن الرومي عقدية، وعند المتنبي ثورية، ومن ثم فهي مترامية الأطراف، مختلفة الألسن، متباينة الأصول، ومتناقضة العقائد، فلكل رمز من رموزها حداثته، ولكل عصر حداثته، وهناك حداثة مطلقة وأخرى مشروطة، وحداثة إبداع وحداثة فكر"[26].

وهو ما يؤكد عليه في قوله: "ومن ثم فإن لكل زمان، ولكل أمة، ولكل ثقافة حداثة متميزة. هذا ما يجب أن يكون، أو ما هو كائن عند غير المقلدين، فهل نملك القدرة على بلورة حداثة عربية ذات

شخصية متميزة تصد وباء الطارئ وتُغْني شبابنا عن الركض وراء سراب القيعان، وتطوق مكائد الأعداء ومكرهم، وتفسد عليهم حيلهم؟ لو استطعنا ذلك لقبلنا بوصف الجديد بالحداثة، ومنحناها ملامح عربية وإسلامية ولنا أن نسميها ما شئنا، حداثة أو معاصرة أو تجديدا"[27].

وعندما يتحدث عن قضية تعد من أهم قضايا شعر الحداثة، وهي قضية الإبهام والغموض نراه يتخذ موقفا وسطا فيقول: "والغموض الفني لا يعني إلغاء الدلالة وتخليص اللغة من هاجس التوصيل، إنه تخليص النص الإبداعي من الدلالة الواحدة المنتهية والتسامي إلى احتمال دلالات كثيرة يتلبس بها النص وتكون قادرة على الاستجابة لتطلعات المتلقي. واستمرار نزيف الدلالات مؤشر على وجود غموض فني يفجر الحركة النقدية وينفك عن فلك التدمير"[28].

ولكن على الرغم من هذه الموضوعية التي تظهر لنا بين الحين والآخر والتي تتجلى خير ما تتجلى في مناقشة المؤلف للقضايا والأفكار بحكمة وروية والرد عليها بخطاب هادئ ومعتدل، فإنها لم تمنعه من الوقوع في شرك الذاتية، وإطلاق الأحكام المتسرعة التي لا تستند إلى برهان، ومن ذلك قوله: "ويظل عالمنا يستهلكه التلقي الأبله والتبعية المنضبطة، يركض وراء كل بارق، ويحارب تحت كل راية، ليس له قضية محددة ولا هدف معين ولا خصوصية مميزة، يؤمن بمعادلة كاذبة أطلقها الحاقدون وصدقها المغفلون، فإما الإسلام والتخلف، وإما العلمانية والتقدم"[29].

ومثله قوله: "وفي مقابلة أجرتها إحدى المجلات مع بعض رموز الحداثة نفى مسئوليته عن الطلاسم والتجديد لذاته، وأثبت معيته للتراث، وتسابق المحافظون على تسجيل هذا الاعتراف، ويقيني أن هذا من إطلاق البالونات وتلميع الذات وترميم السمعة، فليس التخلي عن أيديولوجية منحرفة كرس حياته لخدمتها يأتي بهذه السهولة والسرعة"[30].

وأما القسم التجديدي فينطلق من نزعة تجديدية تحاول مواكبة التجربة العربية التي بدورها تحاول مواكبة موجة التحديث العالمي التي طالت كافة العلوم، فيعتبرون النقد الأداة الأهم التي يسعون من خلالها إلى تحديث المجتمع، وينطلقون به ومن خلاله إلى مواكبة حركة التطور العلمي والثقافي والاجتماعي المتسارع داعين إلى تجاوز القديم أو إلغائه، وكأي مشروع فكري جديد كان

يتمركز جهدهم الفكري حول وعي متغير ومتجاوز عبر مجتمع متحرك وتاريخ سريع وحياة يومية متجددة.

وهذا ما نجد الدعوة إليه صراحة في قول أحد نقاد هذا الاتجاه حين يدعو إلى ترك المناهج التي ترتكز على الفلسفات القديمة التي لا ترى في اللغة سوى تعبير أو أداة وصف، وإدراك أن أول خطوة نحو العالم المغلق للقصيدة الجديدة هو التبرؤ من هذا التصور اللغوي القديم، بحيث يكون الوقوف أمام الشعر وقوفا أمام لغة الشعر نفسها، بدون العودة للبحث عما يقابل العالم الشعري من عالم واقعي مادي، وهذا يعني بالضرورة التخلص من الالتجاء إلى معايير الصدق والكذب والصحة والخطأ والاعتدال والمبالغة والتناقض والاتساق وما إليها من المعايير التي وُرثت عن البلاغة والنقد القديمين واستبدال كل ذلك بثقافة نقدية جديدة تتمثل كافة الإنجازات المختلفة التي تم تحقيقها في ميادين الدراسات اللغوية والفلسفية وعلم النفس والإنثروبولوجيا وما إلى ذلك من العلوم التي أصبحت جزءا أساسيا من ثقافة الناقد الأدبي[31].

ثم يؤكد على ضرورة التحول من مرحلة مواجهة القصيدة الجديدة إلى مرحلة التعاطف ويرى "أن سبيلنا إلى ولوج عالم القصيدة الجديدة يبدأ بالتعاطف معها؛ ذلك أن علاقة المحبة والتقبل للنص هي الجسور التي تصلنا بعالمه السحري. أما إذا ما قابلنا النص بعداء ورفض ونفور لسبب أو لآخر فإننا بهذا نسقط كل الإمكانات المتاحة لفهمه ولنتأكد تماما أنه ما من ستار أغلظ في عالم المعرفة من ستار الكره"[32].

ويمثل هذا القسم عدة مؤلفات من أهمها: (الكتابة خارج الأقواس، حداثة مؤجلة، عتبات التهجي)، فهي في مجملها محاولات لقراءة شعر الحداثة في المملكة العربية السعودية قراءة جديدة مختلفة عن القراءات التقليدية، ولكنها في مقابل ذلك لا تتبع منهجا صريحا يمكن تلمس معالمه، بل هي باعتراف أحد نقاد هذا الاتجاه "تأملات لا تفي مجتمعة بشروط الدراسة المنهجية، وتعاني الانفراط الشكلي، أو لا توحي بالتكامل الفني التام، فيما يمكن أن يتراءى بمجمله تحت مسمى البحث، فهذا يعود إلى كونها في الأصل قراءات مستقلة، تتماثل في آلية الحفر والتقصي المعرفي، ولكن

لا تتكامل إلا من حيث الوجهة المعرفية، فكل قراءة تمارس تحديقاتها داخل إشكالاتها الخاصة، وتنتج بدورها أفق ومشروطية قراءتها"[33].

وما يؤكد على أن المنهج في هذا القسم هو في المستوى الذاتي، أنه لا يمكننا تلمس معالم واضحة لمنهج علمي واضح، بل هي خطوات اعترف أصحابها بأنها تمثل مرحلة صراع، حيث يرون أنه كان "لا بد من الاصطدام بين تيار أدبي ناهض لم يتبين مساره بعد، ونمط ثقافي راسخ يتعامى عن حركة التاريخ خارج دائرته المحدودة، ولا يرى في العودة إلى التراث إلا عودة زمنية، أو اسمية، فهو يريد التجدد، ولكن بحذر وبطء شديدين، وبإصرار على أن يكون مصدر الإنتاج المعرفي، والأدبي الأوحد، بل ومن خلال مؤسساته التي تعاني اختلالات تكوينية معوّقة"[34].

ولأجل هذا الصراع والتصادم بين مرحلة سابقة ومرحلة آتية عاش المنهج حالة من الإشكال تفرضها اللحظة الراهنة للمرحلة التي ظل فيها أدب الحداثة "يراوح خطوة إلى للأمام وأخرى للخلف، ويسجل قطيعته للسائد، إخلالا بمجمل قدسيات الثقافة العربية عموما، وإشباعا لحاجات متولدة من بروز بنى مغايرة، وبحثا عن أفق لممكنات التمدد الكمي والنوعي، واحتمالية الاعتراف بمشروعيته رسميا وجماهيريا، فيما تولدت معوقات أخرى بعضها متفرع عن القوى المحافظة، والبعض الآخر ناشئ عن تيار التحديث نفسه"[35].

ومن المؤلفات التي يمكن إدراجها تحت هذا القسم كتاب (ثقافة الصحراء) حيث يبدو من العنوان أننا نقف على عتبة تشي بالمنهج الذي سيسير عليه الكاتب في قراءاته النقدية المبثوثة في أثناء الكتاب والتي تسعى لنقد شعر الحداثة في المملكة العربية السعودية، فـ(مفهوم ثقافة الصحراء) كما يقول المؤلف: "هو الإطار العام، أو أحد الأطر الرئيسية التي يمكننا من خلالها أن نقرأ الأدب في منطقة الجزيرة العربية كمعطى إنساني – بيئي، أو كتفاعل مع الظروف الجغرافية يتوازى مع التفاعلات الحياتية الأخرى في الملبس والمسكن والمأكل وما تتضمنه من قيم اجتماعية وتصورات للعالم"[36].

ولهذا كان المتوقع أن يلتزم المؤلف بأحد المناهج التي تدرس العلاقة بين المبدع وبيئته، أو بين المنتَج/النص الشعري الحداثي والمؤثر/البيئة التي ارتبط بها، خاصة عندما نراه يؤكد على أن هذا الكتاب بما يحويه من قراءات نقدية هو محاولة من المحاولات التي تعبر عن "الحاجة القوية إلى نقد يكسر حدة الغرابة في نصوص الحداثة في الوقت الذي تسعى فيه إلى تقويم تلك النصوص"[37].

إن القيمة النقدية التي اشتمل عليها الكتاب تنظيرا وتطبيقا لا يمكن للقارئ أن يتلمس من خلالها منهجا صريحا، رغم أن الكاتب أشار في كثير من المواضع إلى روح المنهج الاجتماعي من خلال حديثه عن طبيعة العلاقة بين الإنسان وبيئته وانعكاس تلك البيئة الحتمي على شكل الأدب ومضمونه، بل إن الكاتب باعترافه هو يؤكد ذلك فيقول:

"الوسيلة أو المنهج الذي حاولت في محتويات هذا الكتاب أن أحقق من خلاله شيئا من أهداف النقد ليس في مقدوري أن أحدده تحديدا دقيقا لأسباب عدة منها: أنه لا يندرج بسهولة ضمن أي من التيارات الرئيسية التي أعرفها، ومنها أنني لم أسع إلى بلورة أطروحات منهجية قبلية والسير على ضوئها. وأعلم أن بعض المفاهيم التي أطرحها تميل بي نحو منهج أو مدرسة اجتماعية – ثقافية في النقد الأدبي، لكنني أدرك في الوقت نفسه أنه إن كان ثمة شيء من ذلك فإنه لم يأت كفرضية مسبقة، وإنما كتشكل تال لقراءاتي في الأدب وغيره"[38].

وليس هذا الاعتراف وحده ما جعلنا نعد الكتاب ضمن المستوى الذاتي للمنهج، بل إن الممارسات النقدية التي تواجهنا في أثنائه تؤكد ذلك كذلك، حيث يتنقل بنا الكتاب بين الشكل والمضمون، والرؤى الشعرية والتفاعل مع الحياة، والمواجهة المريرة مع واقع الإبداع الشعري، والبحث عن الخلاص من مأساوية الظروف التي يعيشها الإنسان العربي المسلم، وضرورة الانتماء إلى معطيات الثقافة الإنسانية عموما وإلى إحياء حقيقي للتراث، كما يؤكد ذلك قوله:

"ومن خلال تأسيس لغة النص وشاعريته يمكننا الدخول به ومعه إلى السياق الذي يمتاز به جنسه الأدبي، وهذه هي أفضل وسيلة إلى معرفة الأدب، ومن ثم معرفة الأديب الذي ما إن نشخص

لغته فيما ينسب إليه من أدب حتى نكتشف بذلك حقيقة هذا الكاتب اللغوية والحضارية، ونستطيع عندئذ أن نضعه في موضعه من السياق الحضاري لأمته، وهذا السياق هو الإنشاء الثقافي للإنسان، وبه تكون للإنسان حقيقة ويكون له وجود، وهما حالتان لا تتوفر لهما أسباب النمو إلا من داخل اللغة، فكأنهما خليتان من خلاياها لا يعيشان خارجها، وفي الوقت نفسه يسهمان في إبقائها حية مثلما تبقيان حيتين. وكل ما هو خارجي عن اللغة فهو غير قابل للإدراك الإنساني، ولهذا فإن اللغة هي الحقيقة الإنسانية القابلة للإدراك، وتشخيصها هو تشخيص للحقيقة الإنسانية. وبذلك تصبح دراسة الأدب فاعلية فلسفية مثلما هي تجربة جمالية. وهذا هو ما نسعى إلى إكسابه لدراستنا هذه، مفيدين فيه من معطيات المدارس النقدية المعروضة أعلاه"[39].

إننا في هذا القسم التجديدي نجد أنفسنا في كثير من الأحيان أمام منهج متحيّز تطغى عليه النزعة الذاتية فيقف جنبا إلى جنب مع شعر الحداثة في المملكة العربية السعودية، يثريه ويروج له بقدر ما يثري ذاته ويروج لها، ففي كتاب (القصيدة والنص المضاد) نصطدم منذ البداية بما يشير إلى تحيز المؤلف للنص الشعري وعلى وجه الخصوص نص شعر الحداثة في المملكة العربية السعودية.

فأول ما يبدأ به المؤلف الربط بين النص والقبيلة، وتنزيل النص منزلة القبيلة، نرتبط به ارتباطنا بالقبيلة وننتمي إليه انتماءنا إليها، ولهذا يرى أن هناك موضوعية متوهمة تدعي انفصالها عن النص وإقامة حاجز معرفي بينها وبينه يجعلها تظل على ثقة دوما من أحكامها، ثم يدعو إلى التخلص من هذا التوهم ويطبقه هو بقوله: "لقد صرت أتجه شيئا فشيئا إلى استنكار هذا التوهم بالانفصال، وصرت أرى استحالته. ومن ثم صرت أرى ضرورة الانتقال من وهم الانفصال إلى حقيقة الاتصال، بل الإيغال في الاتصال من أجل تحقيق الكشف والاستبصار من الداخل- لا من الخارج"[40].

ولتحقيق الاستبصار من الداخل كان عليه أن يسلك منهجا خاصا به أشار إليه، ففي هذا البحث –كما يقول-: "سوف أشق لنفسي طريقا داخل النص لأبحث فيه عن النص، وأفحص مادته لمعرفة حقيقته"[41]، وإذا ما وضعنا أنفسنا في أفق التوقع –كما سيفعل بعد قليل- فإن المنهج الذي

سيشقه لنفسه هو منهج متحيز لشعر الحداثة، وبنينا ذلك على اعترافه بوهم الموضوعية، ودعوته إلى الإيغال في الاتصال بالنص، إضافة إلى ما سنكتشفه بعد قليل من خلال القراءات التي مارسها على شعر الحداثة في المملكة العربية السعودية.

وإذا ما انتقلنا إلى مستوى التطبيق وجدنا تحيز المؤلف لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية واضحا في حديثه عن سعد الحميدين الذي يعد واحدا من أهم رواده، حيث يرى المؤلف "أن الحميدين يندفع وراء الفعل لأسباب وظيفية من الممكن تلمسها واستكشافها من سيرورته الإبداعية. وهي تشير إلى أن الشاعر –مثله مثل محمد حسن عواد- قد جعل القصيدة موقفا وموعدا مع التجريب: تجريب ما يمكن أن نفعله مع اللغة، بحيث تكون الكتابة الشعرية نوعا من الفتوحات المتواصلة داخل اللغة بإيقاعاتها وسياقاتها، ليس طلبا للنص الكامل وإنما هو طلب لفتح لغوي نصوصي ربما يكون ناقصا، لا يهم. والمهم فحسب هو استكشاف الإمكانات غير المستكشفة وهذا جعل الحميدين واحدا من الشعراء الذي يفتحون مسالك اللغة لسواهم"[42].

ولذا فهو يتعامل مع نصه الشعري في حالة انتشاء وفق أفق التوقع، يؤكد ذلك قوله: "ولكن مجالنا هو سبر ديوان الحميدين الذي بين أيدينا الآن على معيار (المسافة الجمالية) استنادا إلى أفق التوقع المتنشّئ فينا عن تجربة الشاعر وعن شاعريته"[43].

وهي بخلاف الطريقة التي اتبعها في قراءته لإحدى قصائد غازي القصيبي، عندما أخضعها لما سماه الثغرة المحدثة والتي تكون لها في القصيدة وظيفة إبداعية تجعل لغة الصدى أكثر من مجرد انعكاس صوتي[44]، وهذا ما جعله يقول عن اللؤلؤة في قصيدة القصيبي: "وبذا تظل اللؤلؤة عند القصيبي غيابا، إذ قد حضرت في النص لكي تصمت، وحضرت لكي تغيب. وتظل اللؤلؤة، ويظل الغواص في كل النصوص، كل واحد، وكل واحدة، هو، وهي مطلب للآخر. ولكن الغواص لا يصيب منيته، واللؤلؤة لا تفنى، ولا تضيع. ولكنها -فحسب- تختفي وتغيب؛ لكي تكون مطلبا شعريا، ومطلبا دلاليا، ومطلبا ثقافيا يرثه جيل عن جيل، وهي غائبة في الحس وحاضرة في الذهن"[45].

ثانيا: المنهج في المستوى الموضوعي

يحاول النقاد في هذ المستوى ضبط منهجهم في قراءة شعر الحداثة في المملكة، ولذلك نراهم كثيرا ما يعتمدون في ممارساتهم النقدية على ما توصلت إليه النظرية النقدية الغربية، وهم بمحاولاتهم تلك كانوا يسعون إلى توجيه بوصلة النقد نحو مسار أكثر أمانة وأكثر دقة وأكثر علمية بعيدا عن النزعات الفردية وفوضى الآراء الذوقية الشخصية.

ويقصد بالموضوعي هنا تلك القراءات التي اتبعت في محاولاتها مقاربة شعر الحداثة في المملكة العربية السعودية طرائق منطقية تحدّ من غلبة الذاتية وسيطرة الحدس والذوق، ويتجلى المنهج الموضوعي في عدة مؤلفات من أهمها: (الخطيئة والتكفير، ونبت الصمت، وقضايا وإشكالات في الشعر العربي الحديث الشعر السعودي أنموذجا، والتجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية، ورحلة نحو المستحيل).

ففي كتاب (الخطيئة والتكفير) نجد المؤلف بعد إشارته إلى الإفادة من المدارس النقدية التي عرضها في الفصل الأول يتحدث عن التشريحية كاتجاه نقدي عظيم القيمة، ويجعل منها سرجا يعينه على الثبات على صهوة النص، ويؤكد ميله إلى نهج بارت التشريحي لأنه لا يشغل نفسه بمنطق النص، ولأنه يعمد إلى تشريح النص لا لنقضه ولكن لبنائه، وهذا هدف يسمو بصاحبه إلى درجة محبة النص والتداخل معه بكل تأكيد ويشير إلى التذوق الجمالي، ويرى أنه هو المنطلق الأساسي للحكم النقدي على النصوص[46]، مع التنبه لما قد تصاب به حالة القارئ النفسية والثقافية من حالات توثر فيه وتطبع تصوراته بطابعها.

وهذا ما جعله يستخدم أسلوب القراءة المتكررة للنصوص في أوقات مختلفة وحالات متعددة، للتأكد من سلامة تلقيه للنصوص، ويختم بقوله: "ولقد سلكت هذا النهج في قراءاتي لأدب حمزة شحاتة، إذ أخضعت النصوص لقراءات متعددة في أوقات وحالات متغايرة. وأخذت أضع رصدا مكتوبا عن تفاعلاتي مع كل نص في كل قراءة له. ولكنني كنت أتلقى النص في كل مرة على معزل من

ملاحظات القراءات السابقة، حتى لا تتدخل ملاحظاتي السابقة فيما أتلقاه من تفاعلات حالية، وعندما انتهيت جمعت الملاحظات وفحصتها واستخلصت منها نتائجي التي جعلتها أساسا لدراستي"[47].

أما حين نتلمس المنهج الذي اختاره المؤلف في كتاب (قضايا وإشكالات في الشعر العربي الحديث الشعر السعودي أنموذجا)، فإننا نلمس فيه روح المنهج والالتزام الموضوعي، حيث يعترف في البداية بأن أي دارس "لا يستطيع أن يلم شتات الحركة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية ويحشر خصائصها في ورقة عمل واحدة تعطي صورة تقريبية عن الحركة. ومهما حرص على تكامل هذه الصورة ومصداقيتها، فإنها تبقى نسبية وستعوزها الروح المنهجية"[48].

وهذا الاعتراف الذي يبين فيه المؤلف صعوبة الالتزام المنهجي هو بوجه آخر التزام منهجي مسؤول، فأن يعترف المؤلف أو الكاتب بالصعوبة التي تنتظره فهو يؤكد بطريقة غير مباشرة حرصه ومحاولته الجادة للتغلب على هذه الصعوبة، وهو ما أشار إليه صراحة بعد ذلك بقوله: "وبدلا من أن أسلط الضوء على الحركة الشعرية ككل في ورقة عمل واحدة فأبحث كل شيء ولا أحيط بشيء بعينه، سوف أنتقي جوانب إشكالية بعينها من هذه الحركة، وأحاول أن أدرسها دراسة منهجية موضوعية لأصل من خلالها إلى روح هذه الحركة، وأضع يدي على مفاصلها الأساسية، ومن حضور هذه المفاصل يمكننا أن نشكل بقية الصورة الغائبة ونتعرف إلى هوية هذه الحركة"[49].

وليس ما سبق وحده هو ما وسم منهج المؤلف بالموضوعية، بل الكثير من آرائه التي نراها مبثوثة في أثناء الكتاب، فهو لا يظهر بمظهر المتعصب المدافع عن شعر الحداثة في المملكة العربية السعودية، ولا يرفضه رفضا تاما أو يتحامل عليه، ومن تلك الآراء التي تبين لنا موضعية منهجه اعتقاده بأن "كل ولوج إلى نص مبدع يتطلب حيوية إبداع لا حيوية قراءة فحسب، بل إبداع نص آخر، بل تلبس النص الماثل وتقمصه واتخاذه جسرا لتواصل الأجزاء: المتلقي، والمبدع، والكل، والروح، والنفس، والألق الإنساني الذي يصطاده البيان. وكل ولوج من هذا النوع هو نوع من القياس، قياس معرفي ذوقي وذوقي معرفي، يقيس على مرجع مؤسس أو يؤسس مرجعا يقاس عليه"[50].

فهو هنا يجمع بين ركنين أساسيين ضروريين لقراءة أي عمل أدبي وهما المعرفة والذوق، فكل واحد منهما يحكم الآخر ويقيده تقييدا موضوعيا بعيدا عن النفي أو التحيز.

لقد بدت قراءات العظمة في هذا الكتاب ملتزمة بالمنهج الموضوعي الذي رسمه لنفسه، فنجده مرة يشيد بالتجربة الشعرية الحداثية في المملكة العربية السعودية إشادة مشروطة، فيرى أن "للشاعر السعودي معاناته المتميزة في الحاضر، وحاجات هذا الحاضر الإبداعي تقتضي منه أن يختار موضوعاته وشكله الشعري من مضمون تجربته المعاصرة، لا أن يعارض نماذج جاهزة في الذاكرة دون أن تتخلى هذه الذاكرة عن إلهاماته في نفسه ووجدانه، ولكن شريطة أن يستوعب التراث ويهضمه ويتمثله ويقرأه إبداعا جديدا يلبي حاجات الحاضر الإبداعية لا أن يقيده، وأن يرهن واقعه الإنساني لهوية حضارية مخصوصة"[51].

بينما نجده مرة أخرى ينقد هذه التجربة ويرى أن بعض المغامرات التي يتعمدها شعراء الحداثة في المملكة العربية السعودية في الشكل والمضمون لا تخلو من مخاطرات أحيانا تلجئهم للجوازات النادرة حتى من منظور المقاييس العروضية الحديثة كتسكين نهايات بعض الأبيات ليستقيم الوزن[52]، ولا يقف عند ذلك النقد بل يصف العلاج فيقول: "ولدرء مخاطر الشواذ النادر واختلال الوزن، لا بد من مزيد من وعي الصناعة بالإتيان بالجديد المتميز الخالي من العيب"[53].

ويبرز المنهج الموضوعي في كتاب (التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية) منذ الصفحة الأولى من المجلد الثاني الذي خصصه المؤلف لدراسة (القصيدة الجديدة) وتناول فيه ثلاثة موضوعات قسمها على ثلاثة فصول مرتبة على النحو الآتي: (الريادة والتأصيل، من التأصيل إلى التنويع، أصوات متمايزة في القصيدة الحديثة).

وبدأ المؤلف ببيان خصوصية التجربة الحداثية في المملكة العربية السعودية فنيا ورؤيويا حين يقول: "ولست أنطلق في دراستي من منطلق النزعة الإقليمية باتجاهاتها المذهبية المختلفة وفلسفاتها المتباينة، ولكنني أعتقد جازما أن السياق الطبيعي للتجربة الشعرية المعاصرة في المملكة

هو الثقافة العربية غير أن الانتماء الجغرافي والمجتمعي من شأنه أن يبرز مكامن الخصوصية فنيا ورؤيويا"[54].

وهو في ذلك ينهج منهجا موضوعيا يتمثل في بيان ملامح القصيدة الحديثة وسماتها عند روادها في المملكة العربية السعودية، وعرض الملامح الجمالية التي ميزت تجربة كثير من الشعراء الذين كتبوا هذا النوع من الشعر.

ولئن كان الشنطي في هذا الكتاب يشيد بالتجربة الشعرية الحداثية في المملكة، فإنه ينقد بعض جوانبها بأسلوب هادئ رصين يؤكد التزامه المنهجي الموضوعي، كما يؤكد حرصه على وضع هذه التجربة الجديدة في موضوعها الذي تستحقه دون تحيز أو تمييز.

فمن الإشادة بالتجربة قوله: "إن ثمة شعراء انطلقوا في تجديدهم من قاعدة تراثية ولم ينقطعوا عنها، بل ظلت ذائقتهم الجمالية موصولة مع هذا التراث، وإن سعوا في سبيل التجديد بكل طاقاتهم؛ إيمانا منهم بضروراته... ولكن على الطرف الآخر كان هناك من يعتبر أن الاتجاه المباشر إلى الاستفادة من المدارس الشعرية الغربية كالرمزية مثلا أقصر الطرق للولوج إلى تحديث القصيدة"[55].

وفي ذات الوقت نجده ينقد جوانب من تلك التجربة فيقول: "ومهما يكن من أمر فإن الانصاف يقتضي أن نشير إلى أن بعض قصائد التجربة الجديدة قد ذهب بعيدا في توظيفاته التراثية ورؤيته وجنح إلى ما يمكن أن يثير الشبهة وأفسح المجال للشك، أو أنه تغاضى عما ينبغي إزاء الموقف العقدي الراسخ وهوّم في فضاء من الرؤى التي قد يفهم منها الانفلات من الالتزام الديني تحت تأثير بعض توجهات التجربة الشعرية الحديثة عربيا وعالميا"[56].

أما عندما نفحص المنهج في كتاب (رحلة نحو المستحيل) فإننا نجد أنفسنا أمام مادة نظرية ثرية، يؤكد فيها المؤلف نبذه للأيديولوجيا[57] وكل من يتعصب لها، ويشير في الوقت نفسه إلى "أن أي منهج هو غير قادر على قراءة نص أدبي قراءة شاملة لا تبقي منه، ولا تذر فيه"[58]. وهو بذلك يكسب ثقة القارئ، ويضع نفسه موضع المسؤولية المنهجية التي تضبط أدوات قراءتها، فتعتني "بالمسكوت

عنه غير المنطوق به في النص؛ فتذهب إلى ما وراءه فتكمل هذا الذي لم يُقل، وتفصّل هذا الذي كُثّف، ولكن دون الذهاب عنه بعيدا فتتكلف تقويله ما لم يقل فتقع في المحظور"[59].

ولكي يصل المؤلف إلى هدفه من قراءته هذه لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية الماثل أمامه في شعر سعد الحمدين، فقد رسم لنفسه منهجا مركبا مهجنا[60]، قال عنه: "وإنما نحن بصدد الحديث عن منهج مركب مهجن -وشتان بين التوفيق والتلفيق، والتركيب- يصطنع جملة من الإجراءات المنسجمة التي تتظاهر مجتمعة في إلقاء الضياء الكاشف على المناحي الفنية الكامنة في خبايا النص الأدبي حتى تستقصي استخراج ما فيه، وعلى أن هذه الإجراءات، في عامتها، هي تنتمي إلى خلفية معرفية واحدة هي السيميائية. فنحن لم نركب المنهج الاجتماعي مع النفسي مثلا فنقحم شيئا في شيء ليس من جنسه فنزاوج أو نثالث بين المتناشزات المتنافرات؛ ولكننا جئنا إلى المجال السيميائي، وهو أوسع مجالات المعرفة الإنسانية وأكثرها تقبلا لمقاربة النص، فاستبطنا من كل ذلك جملة من المفاهيم تتضافر مجتمعة في قراءة النص الأدبي لعلها تستطيع أن تنصه نصا - باللغة العامية: أي تمضي في استخراج أقصى ما فيه إلى أبعد الحدود الممكنة"[61].

ولهذا كانت قراءاته لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية من خلال شعر شاعر يعد أحد أبرز شعراء المرحلة قراءات موضوعية تقف موقف الناقد المنصف الذي يعطي التجربة حقها من الاحتفاء من جهة، وحقها من النقد من جهة أخرى.

لقد كان مرتاض مهتما ببنية اللغة الشعرية عند الحميدين لذلك كانت قراءاته ومحاكماته لها تنطلق من منهج موضوعي يهتم بالبنية والصورة والفكرة، ولذلك رأيناه يقسم كتابه على النحو الآتي:

(أولا: ما قبل التحليل، ثانيا: توطئة نظرية عن القراءة التداولية، ثم بنية اللغة الشعرية عند سعد الحميدين، وتناولها في ستة عشر محورا، هي: اللغة وشعريتها عند سعد الحميدين، توظيف اللغة اليومية، تضمين نصوص شعرية، توظيف التناص، توظيف جمالية الإيقاع، توظيف التكرار الفني، اللعب بالحروف والكلمات، التصوير الفني في شعرية الحميدين، تصوير البيئة المحلية،

توظيف السرد، تلويح القصائد، الاقتصار على كتابة قصيدة التفعيلة، الميل إلى تطويل القصائد، القلق الوجودي، الحيرة والخيبة، توظيف الثقافة العربية العامة، ثم انتقل بعدها إلى التحليل، وقسمه إلى عشر لوحات شعرية، حللها فيما يقارب مائة وإحدى وتسعين صفحة).

ويبرز لنا المنهج الموضوعي الذي سلكه المؤلف في هذا الكتاب من خلال نظرته المتزنة التي تراوح بين الاحتفاء بالتجربة ونقدها، فهو يرى أن "الصورة الفنية في كتابات سعد الحميدين الشعرية أجنح ما تكون إلى التكثيف والعمق منها إلى التسطيح والتبسيط، شأن كل شاعر حداثي. وإذا كانت صوره بعامة ليست مضببة إلى درجة الاستغلاق، فهي أيضا ليست عارية إلى درجة السطحية، فهي تقع وسطا بين الفهم واللافهم"[(62)].

لكنه سرعان ما ينقد ما يحتاج إلى نقد، فحين يأتي إلى تحليل الصورة الفنية يقف عند إحدى اللوحات الشعرية ويقول: "لا نصادف أي صورة فنية بالمفهوم النقدي الصارم للكلمة، في هذه اللوحة الفنية. ولكن يمكن أن نتجاوز في ذلك ونتوسع فنقرأ بعض الألفاظ على أساس أنها صورة من وجهة نظر انتشارية"[(63)].

النتائج:

يتبين من خلال قراءة هذه العينة من الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية الآتي:

1- أن المنهج في هذا الخطاب مر بعدد من التحولات كان سببها الأبرز ولادته في ظروف اجتماعية واقتصادية وفكرية وثقافية كان لها أبلغ الأثر فيه.
2- أن هناك ثلاثة اتجاهات تقاسمت الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة، هي الاتجاه المحافظ والاتجاه الحداثي والاتجاه الموضوعي.
3- أن المنهج في الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة ظهر في مستويين رئيسيين، هما المستوى الذاتي، والمستوى الموضوعي.

4- أن المنهج في المستوى الذاتي انقسم إلى قسمين، قسم تقليدي ينطلق من رؤية إسلامية للأدب عامة وشعر الحداثة خاصة، ويرى أن الممارسة الصحيحة أو المنهج الصحيح لا يكون إلا داخل إطار الدين، وقسم تجديدي ينطلق من نزعة تجديدية تحاول مواكبة التجربة العربية التي بدورها تحاول مواكبة موجة التحديث العالمي التي طالت كافة العلوم.

5- أن المنهج في المستوى الموضوعي كان منهجا ملتزما وقف من شعر الحداثة في المملكة العربية السعودية موقفا وسطا اتسم بسمات الموضوعية، فأثرى شعر الحداثة في المملكة بالاحتفاء تارة، وبالنقد تارة أخرى.

التوصيات:

إجراء بحوث مركزة تشتغل على المنهج في الخطاب الناقد لشعر الحداثة في المملكة العربية السعودية، تتناول تجليات المنهج الغربي فيه، والانضباط والتفلّت الحاصل على مستوى تمثله وتمثيله.

الهوامش والإحالات:

[1] مندور، النقد المنهجي عند العرب: 11.
[2] وهبة، والمهندس، معجم المصطلحات العربية: 393.
[3] سويرتي، المنهج النقدي: 7.
[4] مجموعة من المؤلفين، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي: 9.
[5] نفسه: 10.
[6] نفسه: 10.
[7] ينظر: الحارثي، نحو تأصيل تصور إسلامي للآداب: 181.
[8] الشيباني، مغالطات الأستاذ السريحي: 23.
[9] قصاب، مناهج النقد الأدبي: 10.
[10] نفسه: 10.
[11] سويرتي، المناهج النقدية الحديثة: 7.
[12] عقيلان، جناية الشعر الحر: 11.

(13) نفسه: 11.

(14) نفسه: 19.

(15) نفسه:30.

(16) نفسه: 35.

(17) نفسه: 113.

(18) نفسه: 67.

(19) نفسه: 87.

(20) القرني، الحداثة في ميزان الإسلام: 20.

(21) ينظر: النحوي، الحداثة في منظور إيماني: 95.

(22) ينظر: الغامدي، الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 9.

(23) القرني، الحداثة في ميزان الإسلام: 20.

(24) – نفسه: 25.

(25) الهويمل، الحداثة بين التعمير والتدمير: 17.

(26) نفسه: 23.

(27) نفسه: 29.

(28) نفسه: 46.

(29) نفسه: 23.

(30) نفسه: 46.

(31) ينظر: السريحي، الكتابة خارج الأقواس: 29، 30.

(32) نفسه: 33.

(33) العباس، حداثة مؤجلة: 8.

(34) نفسه: 11.

(35) نفسه: 11.

(36) البازعي، ثقافة الصحراء: 10.

(37) نفسه: 11.

(38) نفسه: 11، 12.

(39) نفسه: 78.

(40) الغذامي، القصيدة والنص المضاد: 6.

(41) نفسه: 13.

(42) نفسه: 166.

(43) نفسه: 164.

(44) ينظر: نفسه: 98.

(45) نفسه: 103، 104.

(46) ينظر: نفسه: 79، 80.

(47) نفسه: 81.

(48) العظمة، قضايا وإشكالات في الشعر العربي الحديث: 26.

(49) نفسه: 26، 27.

(50) نفسه: 33، 34.

(51) نفسه: 23، 24.

(52) ينظر: نفسه: 49، 50.

(53) نفسه:50.

(54) الشنطي، التجربة الشعرية: 411.

(55) نفسه: 418، 419.

(56) نفسه: 415، 416.

(57) ينظر: مرتاض، رحلة نحو المستحيل: 12.

(58) نفسه: 12.

(59) نفسه: 13.

(60) ينظر: نفسه: 12.

(61) نفسه، والصفحة نفسها.

(62) نفسه: 59.

(63) نفسه: 99.

قائمة المصادر والمراجع:

1) البازعي، سعد، ثقافة الصحراء - دراسات في أدب الجزيرة العربية المعاصر، د.ن، الرياض، 1991م.
2) الحارثي، محمد مريسي، نحو تأصيل تصور إسلامي للآداب، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، جدة،ع6، 1992م.
3) السريحي، سعيد، الكتابة خارج الأقواس، نادي جازان الأدبي، جازان، 1986م.
4) السريحي، سعيد، عتبات النهج، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، 2015م.
5) سويرتي، محمد ، المناهج النقدية الحديثة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2015م.

6) سويرتي، محمد، المنهج النقدي - مفهومه وأبعاده وقضاياه، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2015م.
7) الشنطي، محمد، التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية، نادي حائل الأدبي، حائل، 2003م.
8) الشيباني، أحمد، مغالطات الأستاذ السريحي في المنهج والمذهب، صحيفة المدينة، المدينة المنورة، ع238، 1998م.
9) العباس، محمد، حداثة مؤجلة كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ع 59، 1998م.
10) العظمة، نذير، قضايا وإشكالات في الشعر العربي، النادي الأدبي بجدة، جدة، 2001م.
11) عقيلان، أحمد فرح، جناية الشعر الحر، نادي أبها الأدبي، أبها، 1982م.
12) الغامدي، سعيد، الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، الأندلس الخضراء، جدة، 2003م.
13) الغذامي، عبد الله، الخطيئة والتكفير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012م.
14) الغذامي، عبد الله، القصيدة والنص المضاد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994م.
15) القرني، عوض، الحداثة في ميزان الإسلام، الأندلس الخضراء، جدة، 2002م.
16) قصاب، وليد، مناهج النقد الأدبي الحديث - رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، 2009م.
17) مجموعة من المؤلفين، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة: رضوان ظاظا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997م.
18) مرتاض، عبد الملك، رحلة نحو المستحيل، الانتشار العربي، بيروت، 2007م.
19) مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر، القاهرة، 1996م.
20) النابلسي، شاكر، نبت الصمت، دار العصر الحديث، بيروت، 1992م.
21) النحوي، عدنان، الحداثة في منظور إيماني، دار النحوي، الرياض، 1989م.
22) الهويمل، حسن، الحداثة بين التعمير والتدمير، دار المسلم، الرياض، 1993م.
23) أبو هيف، عبد الله، الحداثة في الشعر السعودي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002م.
24) وهبة، مجدي، المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

Arabic References:

1) al-Bāziʿī, Saʿd, Ṯaqāfat al-Ṣaḥrāʾ- Dirāsāt fī ʾAdab al-Jazīrah al-ʿArabīyah al-Muʿāṣir, D. N, al-Riyāḍ, 1991.
2) al-Ḥāriṯī, Muḥammad Marīsī, Naḥwa Taʾṣīl Taṣawur ʾIslāmī lil-ʾĀdāb, Majallat ʿĀlāmāt fī al-Naqd, al-Nādī al-ʾAdabī bi-Jiddah, Jiddah, issue 6, 1992.
3) al-Surīḥī, Saʿīd, al-Kitābah Khārij al-ʾAqwās, Nādī Jāzān al-ʾAdabī, Jāzān, 1986.

4) al-Surīḥī, Saʿīd, ʿAtabāt al-Tahajī, Jadāwil lil-Nashr & al-Tawzīʿ, Bayrūt, 2015.

5) Sūwayritī, Muḥammad, al-Manāhij al-Naqdīyah al-Ḥadīṯah, ʾAfrīqīyā al-Sharq, al-Dār al-Bayḍāʾ, 2015.

6) Sūwayritī, Muḥammad, al-Manhaj al-Naqdī - Mafhūmuhu & ʾAbʿāduhu & Qaḍāyāh, ʾAfrīqīyā al-Sharq, al-Dār al-Bayḍāʾ, 2015.

7) al-Shanṭī, Muḥammad, al-Tajribat al-Shiʿrīyah al-Ḥadīṯah fī al-Mamlakah al-ʿArabīyah al-Saʿūdīyah, Nādī Ḥāʾil al-ʾAdabī, Ḥāʾil, 2003.

8) al-Shaybānī, ʾAḥmad, Muġālaṭāt al-ʾUstāḏ al-Surīḥī fī al-Manhaj & al-Maḏhab, Ṣaḥīfat al-Madīnah, al-Madīnah al-Munawwarah, issue 238, 1998.

9) al-ʿAbbās, Muḥammad, Ḥadāṯah Muʾajjalah Kitāb al-Riyāḍ, Mūʾassasat al-Yamāmah al-Ṣuḥufīyah, al-Riyāḍ, issue 59, 1998.

10) al-ʿAẓmah, Naḏīr, Qaḍāyā & ʾIshkālāt fī al-Shiʿr al-ʿArabī, al-Nādī al-ʾAdabī bi-Jiddah, Jiddah, 2001.

11) ʿUqaylān, ʾAḥmad Faraḥ, Jināyat al-Shiʿr al-Ḥurr, Nādī ʾAbhā al-ʾAdabī, ʾAbhā, 1982.

12) al-Ġāmidī, Saʿīd, al-ʾInḥirāf al-ʿAqadī fī ʾAdab al-Ḥadāṯah & Fikrahā, al-ʾAndalus al-Khaḍrāʾ, Jiddah, 2003.

13) al-Ġaḏāmī, ʿAbdallāh, al-Khaṭīʾah & al-Takfīr, al-Markiz al-Ṯaqāfī al-ʿArabī, al-Dār al-Bayḍāʾ, 2012.

14) al-Ġaḏāmī, ʿAbdallāh, al-Qaṣīdah & al-Naṣṣ al-Muḍādd, al-Markiz al-Ṯaqāfī al-ʿArabī, al-Dār al-Bayḍāʾ, 1994.

15) al-Quranī, ʿAwaḍ, al-Ḥadāṯah fī Mīzān al-ʾIslām, al-ʾAndalus al-Khaḍrāʾ, Jiddah, 2002.

16) Qaṣṣāb, Walīd, Manāhij al-Naqd al-ʾAdabī al-Ḥadīṯ-Rūʾyah ʾIslāmīyah, Dār al-Fikr, Dimashq, 2009.

17) Majmūʿah min al-Mūʾallifīn, Madkhal ʾilá Manāhij al-Naqd al-ʾAdabī, tr. Raḍwān Ẓāẓā, ʿĀlam al-Maʿrifah, al-Majlis al-Waṭanī lil-Ṯaqāfah & al-Funūn & al-ʾĀdāb, al-Kuwayt, 1997.

18) Murtāḍ, ʿAbdalmalik, Riḥlah Naḥwa al-Mustaḥīl, al-ʾIntishār al-ʿArabī, Bayrūt, 2007.

19) Mandūr, Muḥammad, al-Naqd al-Manhajī ʿinda al-ʿArab, Nahḍat Miṣr, al-Qāhirah, 1996.

20) al-Nābulsī, Shākir, Nabt al-Ṣamt, Dār al-ʿAṣr al-Ḥadīṯ, Bayrūt, 1992.

21) al-Naḥwī, ʿAdnān, al-Ḥadāṯah fī Manẓūr ʾĪmānī, Dār al-Naḥwī, al-Riyāḍ, 1989.

22) al-Huwaymil, Ḥasan, al-Ḥadāṯah bayna al-Taʿmīr & al-Tadmīr, Dār al-Muslim, al-Riyāḍ, 1993.

23) ʾAbū Hayf, ʿAbdallāh, al-Ḥadāṯah fī al-Shiʿr al-Suʿūdī, al-Markiz al-Ṯaqāfī al-ʿArabī, al-Dār al-Bayḍāʾ, 2002.

24) Wahbah, Majdī, al-Muhandis, Kāmil, Muʿjam al-Muṣṭalaḥāt al-ʿArabīyah fī al-Luġah & al-ʾAdab, Maktabat Lubnān, Bayrūt, 1984.